البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

الآداب والأخلاق

د. عبدالعزيز السدحان

الدرس السادس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أشياء يراها المسلم في حياته ويسمع عنها.

- نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ [الأنعام: ١١]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].
- وفي حياتنا التي نعيشها نرى أشياءً في أنفسنا وفي بيوتنا وفي أسواقنا وفي مساجدنا؛ هذه الأشياء إمَّا نراها في كل يوم، أو في كل شهرٍ، أو نوازل تحصل بحسب ما يُقدِّر الله، ونسمع أشياء، ونسمع أصواتًا، ومع ذلك تمر هذه الأمور علينا دون أن نعتبر، ودون أن نتأثَّر، ودون أن نتأثَّر!
- والذي يقرأ في سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وفي تربيته لأصحابه يجد كثيرًا من الأحداث والوقائع أنَّ كثيرًا ممَّا يسمعه الناس في حياتهم تُوظَّف فيما يعود عليهم بالنفع.
- فمثل هذه الأمور أحيانًا تزيد الإنسان إيمانًا، وتكون رادعًا له عن تقصيرٍ في طاعة، أو حاثَّةً له في الإقدام على طاعة، وهلمَّ جرًّا.

- ممَّا نراه في حياتنا مثلًا:

✸ **الأمر الأوَّل:** منظر شهري يمرُّ علينا في كل شهر مرَّة، وهذا المنظر هو اكتمال رؤية القمر بدرًا، فإذا اكتمل القمر بدرًا فإن الناس ينظرون له بنظراتٍ مختلفة:

  - الشعراء تنقدح قرائحهم في الوصف والتَّغزُّل وما شاكل ذلك.
  - والبلاغيون تنفد محابرهم وتسيل أقلامهم في الوصف والتشبيه وما شاكل ذلك.
  - وأهل السَّمر تطيب مجالسهم في الليالي المقمرة في الصحراء.

- وكل هذا لا إشكال فيه إذا خلِيَ من المحاذير الشَّرعيَّة، ولكنها نظرة بعين البصر المجرَّد، أنَّ النَّظر إلى هذا المنظر البهي بعين البصيرة قبل البصر فهو نظر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عندما رأى القمر مكتملًا قال: «هلْ تُضارُّونَ»[1]، أي: يصيبكم ضرر. أو «هلْ تُضَامُونَ» يصيبكم زحام «في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟». قالوا: لا. قال: «فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَومَ القِيَامَةِ كَذلكَ»[2]، وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قيل: الزيادة هي رؤية وجه الله تعالى.

- إذن؛ كلما رأى الإنسان القمر مكتملًا ليلة البدر فربطَ هذا الاكتمال بالأمر العقدي، وهو أنَّ أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية وجه الله تعالى، وهذه الرؤية ثابتة بالتَّواتر.

✸ **الأمر الثاني:** أيضًا يتعلق بالقمر، إذا رأينا خُسوفًا للقمر أو كُسوفًا للشمس، والغريزة تحب الاستطلاع، فتدفع الإنسان ليرى في المرصد أو بالعين المجردة، ولا مانع من ذلك لأن الإنسان يُحب الشيء المستغرب، وهذا أمر مألوفٌ للنفوس، لكن تغيب النظرة بعين البصيرة؛ لأنَّ النظر بعين البصر المجرد يشترك فيه جميع طبقات الناس حتى الحيوانات والطيور، أمَّا النظر بعين البصيرة فهي خاصَّة بأهل العلم والإيمان.

- وكانوا في الجاهلية إذا حدث خسوف للقمر أو كسوفٌ للشَّمس قالوا: مات عظيم أو وُلد عظيم، لكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- صحَّح هذا المسار وبيَّن الرؤية بعين البصيرة، والرؤية العقدية بقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتانِ مِن آياتِ اللَّهِ، لا يَخْسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ»[3]، وفيه إبطال اعتقاد الجاهليَّة، وأيضًا أنَّ القمر والشمس آيتان مخلوقتان مربوبتان والله ربهما، والله بارئهما، مخلوقتان والله خالقهما؛ لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته.

[1] أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٣).
[2] أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٦٨).
[3] أخرجه البخاري (١٠٤٤) واللفظ له، ومسلم (٩٠١).

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهما عِبادَهُ، وإنَّهُما لا يَنْكَسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فإذا رَأَيْتُمْ مِنْها شيئًا فَصَلُّوا، وادْعُوا اللَّهَ حتَّى يُكْشَفَ ما بكُمْ**»[٤].

- إذن؛ إذا رأينا كسوف الشمس أو خسوف القمر فينبغي أن نتذكر أن هذه الآية، تخويف من الله لعباده، ويسارع الإنسان إلى صلاة الكسوف والخسوف، مع ما جاء في السنة من أعمال الصدقات والعتق والتكبير والاستغفار، إلى آخر ذلك.

◆ **هل صحيح أن الخسوف والكسوف يقعان بسبب ذنوب العباد؟.**

- الأصل أنهما آيتان يخوف الله بهما مَن شاء من عباده، وبالتَّخويف يزداد الناس أوبةً وتوبةً وكفًّا عن المعاصي، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لَمَّا بلغه الخبر خرج يجر رداءه فزعًا، حتى قيل: كأنَّ الساعة قد قامت؛ وهذا يحصل خوفًا من العقوبة، فهذه الآية لتذكير الناس وتخويفهم حتى يرجعوا ويكفوا عمَّا وقعوا فيه من المعاصي، وكما قال بعض الشراح: إنها لتقريب علامات يوم القيامة.

◆ **بعض الناس يقول: الكسوف والخسوف يكون معروف عند أهل الفلك والحساب. فكيف تكون لتخويف الناس إذا وقعوا في المعاصي؟.**

- لا يمتنع أنّ الله أجرى سننًا كونيَّة كحصول الكسوف والخسوف ويُعلم ذلك عند أهل الفلك من درجات الشمس ومنازل القمر، ولكن يبقى النَّص هو الأصل الشرعي، مثل حصول الرعد، فقد جاء في الحديث عند الترمذي وغيره أنه يسوقه ملَكَ، ويقول أهل الفلك: إذا قابلت شحنة موجبة مع شحنة سالبة في السحاب حصل الرعد؛ فهذا لا مانع منه، ولكن الأصل هو النَّص الشَّرعي، والجمع وارد في مثل هذا.

✹ **الأمر الثالث:** أمر نراه في بيوتنا، يرى الإنسان الأم تحمله وهو صغير وتخاف عليه؛ بل حتى ترى ذلك في بعض الحيوانات كالقطط تحنو على صغارها وتدافع عنهم، فالرحمة من طبيعة البشر ومن طبيعة الحيوانات، فإذا رأينا الأم تحنو على صغيرها، أو رأينا القطة تدافع عن صغيرها، وكذلك بقيَّة الحيوانات تدافع عن صغيرها فهذا منظر مألوف، لكن ماذا قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عندما رأى امرأة تضمُّ رضيعًا لها إلى صدرها؟

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أتُرَوْنَ هذه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟**». قالوا: معاذ الله يا رسول الله، وهي تقدر على أن تفعل.

- الشاهد هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أتُرَوْنَ هذه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟**». قالوا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أنْ لا تَطْرَحَهُ. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لَلَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ من هذه بوَلَدِهَا**»[٥].

---

[٤] صحيح مسلم (٩١١).
[٥] صحيح البخاري (٥٩٩٩).

- فكلما رأى الإنسان هذا المنظر وتذكر رحمة الله زاد حبًّا لله، وزاد حسنَ ظنٍّ بالله، وزاد لله طاعة، وعن معصيته اجتنابًا.

الأمر الرابع: أحيانًا يحصل أن الإنسان يُقابل شخصًا لا تألفه نفسه، فينفر منه وينقبض منه، وهذا يقع لأن كل إنسان له مشاعر وأحاسيس، ولكن الإشكال والمحظور أن يحكم على هذا الشَّخص، كأن يطعن في عدالته، يطعن في مُروءته ودينه، يطعن في عقيدته، فهذا النفور لا يشفع للنافر أن يطعن فيه.

- إذا رأيتَ مَن لم تقبله نفسك فليس من حقكَ أن تطعن فيه أو تقدح فيه، أو تشوه سمعته، أو تطعن فيه بأي أسلوب من أساليب الطعن الحسيَّة أو المعنوية، قد يفرَّس الشَّخص ويكون عنده دُربَة وخبرة بالناس، وهذا له ضوابط مُعيَّنة.

بعض الناس يقول: أنا لا أطعن فيه ولا أُشوِّه سمعته، لكن لا أتعامل معه بناء على انقباض نفسي. فما توجيهكم؟.

- ورد في كتاب "الروح" لابن القيم "أَنَّ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ قال لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا حَسَنٍ، رُبَّمَا شَهِدْتَ وَغِبْنَا، وَرُبَّمَا شَهِدْنَا وَغِبْتَ، ثَلَاثٌ أَسْأَلُكُ عَنْهُنَّ، هَلْ عِنْدِكَ مِنْهُنَّ عِلْمٌ؟ قَالَ عَلِيٌّ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ خَيْرًا، وَالرَّجُلُ يُبْغِضُ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَرًّا. قَالَ: نَعَمْ[6]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ»[7].

- أحيانًا الإنسان ينقبض ولا يحب أن يتعامل مع شخص معين، ولكن لا يطعن فيه ولا في سمعته أو مروءته، قد لا يرتاح له نفسيًّا، لكن لا يقل عنه أنه لا خير فيه أو أنه فيه من اللؤم.

الأمر الخامس: بعض الناس إذا رأى مُبتلى قد انقلبت سيارته، يقول: هذا السائق طائش، هذا السائق مجنون، هذا متهور، وهذا...، وهذا...، وقد يشتمه ويسبُّه، إلى أخره...، وهذه ليست هي النَّظرة الشرعية، قال -عليه الصلاة والسلام: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ»[8]، فبعض الناس يستعمل كل القواميس المتعلقة بالحوادث، لكنه يغفل عن الأدب الشرعي في أن يحمد الإنسان ربه أن عافاه مما ابتلى به الآخرين.

الأمر السادس: عند زيادة المريض، فنحن نرى في حياتنا زيارة المرضى، فتجد بعض زوَّار المرضى لا يُحسن التَّعامل مع المريض، وورد في بعض كتب المالكية -عليهم رَحِمَةَ اللهُ- أن أحدهم زار مريضًا من

---

[6] المعجم الأوسط للطبراني (٥٣٧٨).
[7] أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، مسلم (٢٦٣٨).
[8] سنن الترمذي (٣٤٣١) واللفظ له، سنن ابن ماجه (٣٨٩٢)، حسَّنه الألباني في صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه.

أئمَّة المالكيَّة فأخذ يذكر عنده أن فلانًا مات بسبب ذلك المرض، فلان تعاظم مرضه فمات، فهذا الإمام كأي إنسان له مشاعر، فقال له: "يا فلان إذا عدتَّ مريضًا فآنسه وتفاءل عنده، ولا تذكر عنده ما يُكدره، وإذا خرجتَ فلا تعُد إلينا".

- لأنَّ هذا زيارته نكدٌ وكدرٌ، ولهذا فإنَّ بعض الناس إذا زارَ مريضًا؛ تجد المريض يشعر بتحسُّن وراحة، وقد لا يكون له رغبة في الأكل فيأكل، أو لا يرغب في الشرب فيشرب؛ لأنَّ بعض الناس يُحسن التعامل مع المريض، بتفاؤل الخير، وإدخال السرور والحبور عليه.

- فينبغي لمن عاد المريض، ورأى المرضى سواء يعرفهم أو لم يعرفهم أن يتفاعل معهم بإدخال السرور والحبور عليهم.

الأمر السابع: أحيانًا في حياتنا نرى أشياء نتعاظمها، يعني طائرات ضخمة، إذا رأينا المحيط، أو رأينا الجبال الهائلة، أي شيء عظيم يُعجَب الإنسان بضخامته وبعظمته، فمثلًا وأنت في الطائرة تمر في خلال سبع ساعات على المحيط الأطلسي حتى تصل أمريكا، انظر إلى عمق الماء، وإلى ما في هذا الماء من الكائنات، وهذه الجبال الضخمة وارتفاعها وما فيها من الحيوانات، وكما قال الجولوجيين: إن جذر الجبل داخل الأرض مثل طوله، فهذه الجبال ضخمة جدًّا.

- فإذا نظرت إلى هذا تذكر عظمة الله تعالى، وهذا الكوكب الذي نعيش فيه واحد من كواكب لا يعلم عددها إلا الله -جَلَّ وَعَلَا- حتى قرأت في بعض المجلات الفلكيَّة أنَّ كوكب الأرض عند الشمس مثل بيضة عند سلَّة بيض، وأن كوكب زحل عند المشتري كبيضة إلى سلة بيض، إلى أن وصل إلى مجرة درب التبانة وقال: إنها كذرَّة واحدة في صحراء واحدة كلها رمال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، فالإنسان يتعاظم هذه الأشياء.

الأمر الثامن: أحيانًا نرى في حياتنا فيما يتعلق بالآداب تصرفًا خاطئًا، من الابن مع أبيه، أو من أخ مع أخيه، أيًّا كان هذا التصرف، فأحيانًا بعض الناس يُسيء التعامل مع المتصرف فيزجره، فيكون هذا الزَّجر مُرسِّخًا في نفسه، وهذا الشخص يُعيد الخطأ من باب العزَّة بالإثم؛ لأن الناصح له والمقوِّم له أخطأ في تصرُّفه.

- فيُقال: إذا رأيت تصرُّفًا خاطئًا فتلطَّف في تعديل الخطأ، طبعًا هناك أشياء يكون فيها شدَّة، فلابدَّ أن تتصرف بحكمة، فالشدة تكون في مواضع الشدَّة، واللين في موضع اللين، لكن أن تضع الشدة في موضع اللين والعكس فلا.

- فبعض الناس لا يحسن التصرف، أخطاء قد يكون علاجها بكلمة أو بنظرة، تجده يُقيم الدنيا ولا يُقعدها بالكلام والعتب والتوبيخ، وأحيانًا يصل إلى السَّب، فهذا لا يُصلح وإنما يُفسد، ويهدم ولا يبني، ويُفرق ولا يجمع، فأحسن التصرف.

- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لما جاءه الغلام قال: يا رسول الله، يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فهذا غلام طلب أمرًا شنيعًا، ولكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- استخدم معه أسلوب القلب -كما يُقال في علم الجدل والمناظرات- وهو أن يجعل السائل مسؤولًا، وهذا من أبلغ أساليب الإقناع، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ما قال له: حرام؛ وقلكن قال: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»، فأصبح السائل الآن مسؤولًا. فقال: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟». قال: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ».
- القصد هو الإصلاح بالأسلوب الحكيم، تجد بعض الناس يقول: باللين دائمًا، أو بالشدَّة دائمًا؛ فهذا غير صحيح، وإنما الصحيح هو الأسلوب الحكيم، وهو وضع الشي في موضعه.

* **الأمر التاسع:** وهو أخٌ من الرَّضاعة لِمَا سبق. إذا رأيتَ تصرُّفًا طيبًا من الصغير، فينبغي أن تشجِّع الصِّغار، سواء كانوا من أبنائنا أو من قرابتنا، أو أيًّا كان من الجيران، حتى لو لم تعرف.

- أعطيك مثالًا: رجل دخل في صالة انتظار في مطار أو ما شاكله، فدخل مسنٌّ فقام أحد الصغار وأجلس هذا المسن مكانه؛ فينبغي لَمن رأى هذا المنظر أن يدعو للصغير وأن يُثني عليه؛ لأن هذا عمل طيب، وما يتركه يذهب هكذا، فهو لا شكَّ أنه أصاب، وينبغي لمن رآه أن يستغل أن يوظِّف هذا الأمر.
- وفي حياتنا تمر علينا أمور كثيرة، ومع الأسف نتجاهل الثناء عليها، مع أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان إذا رأى خصالًا حميدة مدح صاحبها، كقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- للأشجِّ بن عبد قيس: «إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ الحِلمُ والأناةُ»[٩]، فينبغي للإنسان أن يحمد ويُثني بقدر، فلا يُبالغ فيخرج عن الحد الشرعي، وأيضًا لا يجفو ولا يبخل، فكلمة الثناء قد تغيِّر تاريخ حياة الشخص.

* **الأمر العاشر:** يرى الإنسان وسائل التَّقنية الهائلة هذه، ويرى مواقع بالملايين، فيتعجَّب من الشبكة هذه، ففيها علم الشريعة، وعلم الفلك، علم الجولوجيا، علم الفيزياء، وعلم الكيمياء، علم النفس، علم الاجتماع، علم الرياضيات؛ بجميع اللغات وبالصُّور والصوت، شيءٌ هائل، لو عُمِّرَ الإنسان عمرَ نوحٍ -عليه السلام- لم يستطيع أن يرى ويسمع ويقرأ كل ما في هذه الشبكة. لأنه شيء هائل يتعجَّب منه الإنسان، بضغطة زر ترى آلاف المعلومات، فإذا رأى الإنسان هذا الكم الهائل يهول أمره في نفسه إذا تذكر قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ثم تذكر أن هذه التقنية والآلات من صنع البشر، وتذكر أن صانعها من صنع الله ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وتذكر أن هذه المخلوقات كلها مردها إلى الله.

- فإذا كانت كل هذه المعلومات بكل هذه اللغات؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وكما قال الخضر -عليه السلام- لموسى -عليه السلام- لما جاء طائر ونقر البحر: "يا موسى ما

---

[٩] صحيح مسلم (١٧).

علمي وعلمك عند علم الله إلا كما أخذ الطائر من البحر"، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

- الشاهد: أنَّ التفكر في هذه الشَّبكة ينبغي أن يزيد العبد إيمانًا بربه، وتعظيمًا لشأن الله، فوسائل التواصل هذه سواء كانت المقروءة أو المسموعة أو المرئية؛ كل هذه الأمور من صنع الله الذي أتقن كل شيء.

الأمر الحادي عشر: إذا رأى الإنسان في منامه أشياء يأنس بها، أو أشياء مفزعة فهناك آداب، فأحيانًا يرى الإنسان رؤيا فيخشى أو يخاف منها؛ لأنها مفزعة ومخيفة، وقد يبكي ويصرخ منها.

- فيُقال: **الآداب الشرعية إذا رأيت ما يُفزعك ويُخيفك:**
  - أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.
  - أن يتعوَّذ من شر تلكا لرؤية.
  - أن يتفل عن يساره ثلاثة.
  - أن يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.
  - إذا عاد إلى فراشه يُغيّر الجنب الذي كان عليه.
  - لا يُحدِّث بها أحدًا ويُحسن الظَّن بالله ويتفقَّد نفسه.
  - إذا رأى ما يُحب يُحدِّث بها مَن يُحب، فبعض الناس يحسد ويتغيَّظ إذا رأى أن أخاه رأى رؤية طيبة، ولهذا كان من فقه يعقوب -عليه السلام- أن قال ليوسف: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

- فإذا رأى الإنسان ما يحب في منامه فيُحدِّث به مَن يُحب، وليطلب تفسيرها عند عالم أو ناصح، ولا تقص رؤياك إلا على عام أو ناصح، وليس كل مَن تصدَّى لتعبير الرؤى يُسأل، فقد يتصدر الجاهل ومَن لا يُعرَف بعلم، ولا شكَّ أنَّ هناك من يحذق التعبير، فالإنسان لا يسأل إلا مَن كان متوثِّقًا أنه عالمٌ أو ناصح.

هل يُشرع السعي لطلب تعبير الرؤيا؟.

- لا، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان يقول: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟»[١٠]، يعرض هذا على من يحضره، ولا مانع أن يسأل الإنسان عن رؤياه إن كان فيها نوعُ إيهام فيستوضح، وبعض المعبِّرين -ما شاء الله تبارك الله- عنده فراسة وبُعد نظر وتوفيق من الله -جَلَّ وَعَلَا.

بعض المعبرين يعطي تعبيرًا خاطئًا أو تعبيرًا فيه إشكال أو فيه اتّهام. فما توجهكم؟.

[١٠] صحيح البخاري (١٣٨٦).

- نعم، بعض الناس -نعوذ بالله- يوظِّف عصبيَّته وهواه إلى تعبير الرؤى، فإذا أتى أحد ورأى رؤيا يتكلَّف ويتعسَّف في ليِّ عنقها حتى توافق ما يهوى أو ما اشرأبَّت به نفسه، ولو كان يعرف أنها تخالف ولكن من باب التَّكلُّف.
- قال الشافعي: "لا يستدل برؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنَّة". فليس كل ما يراه الإنسان حقًّا، وحتى لو كان حقًّا ما ينبغي أن يُجعل كقطع النص الشرعي، ولكن يستأنس بها.
- أما أضغاث الأحلام فهو أن يرى الشخص أشياء متناقضة، جاء رجلٌ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله، إني رأيت رأسي قد قُطعت وتتدحرج وأنا أتبعه. فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ»**[١١].

➢ **{ننتقل الآن إلى القسم الآخر، وهو ما يُسمَع}.**

- أنا سأذكره باختصار؛ نحن نسمع في حياتنا أصواتًا مختلفة، وجاء الشرع بكل ما يُصلح الناس وفيه خير لهم، ومن ذلك ما يتعلق بالأصوات، فمثلًا:

☑ **الأمر الأول:** إذا سمعت صوت القارئ فأنصت، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- وهناك فرق بين السامع والمستمع:
- يُقال في الأحكام الفقهية: إذا مرَّ القارئ بسجود التلاوة؛ فالأفضل أن يسجد مَن كان مستمعًا، أما من كان سامعًا عرضًا فله الخيار.
- فأحيانًا يقرأ القارئ، وهذا يُكلم هذا، وهذا يكلم هذا، وهذا منافٍ للأدب الشرعي، أما لو شخص تكلَّمَ وهناك أشخاص يتهامسون؛ فهذا لا يليق بالأدب، فكيف إذا كان يقرأ كلام الله -عز وجل؟!

☑ **الأمر الثاني:** إذا سمعنا صوت الأذان، فينبغي لنا المتابعة؛ لأن فيه أجر عظيم، فمن أجور متابعة المؤذن حصول الشفاعة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ»**[١٢]، فالمؤذن ما يستغرق إلا دقيقة أو دقيقتين.

☑ **الأمر الثالث:** إذا سمعنا صوت الرياح، فجاء في الحديث: **«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ، وخَيْرِ مَا فِيهَا، وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وشرّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»**[١٣].

---

[١١] صحيح مسلم (٢٢٦٨).
[١٢] صحيح مسلم (٣٨٤).
[١٣] أخرجه الترمذي (٢٢٥٢) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٧٦٩)، وأحمد (٢١١٧٦)، صححه الألباني.

☑ **الأمر الرابع:** إذا سمعنا صوت المطر أو رأيناه، فجاء في الحديث: **«اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»**[١٤]، وفي حديث آخر عند أبي داود: **«مطرنا بفضل الله ورحمته»**، وإذا كثر المطر وخشي الضرر قال: **«للَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا»**[١٥].

☑ **الأمر الخامس:** صوت الرعد، فورد عن الزبير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: "سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته"، وليس هذا ملزمًا، لأنَّه من كلام الصحابي، ولعلَّ المناسبة ظاهرة بين التسبيح وصوت الرَّعد بنص الآية.

☑ **الأمر السادس:** إذا سمعنا صوت الديكة عند الصياح، فينبغي أن تسأل الله من فضله فإنه رأت ملكًا، قال -صلى الله عليه وسلم: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»**[١٦]، وهذا خاصَّة عند أصحاب المزارع، أما مَن سمع صوت الدِّيك في التسجيل أو في المذياع فلا ينطبق عليه ما قلنا.

☑ **الأمر السابع:** إذا سمعنا صوت نباح الكلاب، فقد جاء في الحديث: **«وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»**[١٧]، وجاء في بعض الألفاظ **«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ»**[١٨]، فالنص جاء بالعموم وبالخصوص، فيكون في الليل آكد.

☑ **الأمر الثامن:** إذا سمعنا نهيق الحمار، فقد جاء في الحديث: **«وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»**[١٩].

☑ **الأمر التاسع:** إذا سمعنا مَن يغتاب، فبعض الناس يُخطئ، فيتركه حتى ينتهي من غيبته ثم يقول: هذه غيبة؛ لا، تلطف في صرف الحديث عن مجراه، إما أن تقول له: يا فلان لو ذكرتَ لنا خبر كذا أو كذا...، قد يفهم مرادك فيصرف الحديث عن وجهه، وقد لا يفهم، فبيِّن له أن هذه غيبة حتى لا يستمر فيأثم المتكلِّم والسَّامع.

☑ **الأمر العاشر:** إذا سمعتَ فائدةً علميَّة فبادر بنقلها إلى الآخرين حتى تتسع دائرة النفع، ويُؤجر من حدَّثك بها، وتُؤجر أنت ومَن حدَّث بها مِن خلفك، لا ينقص من أجورهم شيئًا، فكم نسمع من الفوائد سواء في مجالسنا أو من المذياع، أو مما نرى؛ فزكاة العلم العمل به وتبليغه إلى الآخرين، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

[١٤] صحيح البخاري (١٠٣٢).
[١٥] أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).
[١٦] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).
[١٧] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).
[١٨] رواه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
[١٩] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).